الارثودكس وذلك سنة ١٧٨٠ لأسباب قاهرة ، ثم انتشر المذهب الروماني في الموصل وقراها رويداً رويداً في الربع الاول من القرن التاسع عشر وقد أخبرنا المطران اثناسيوس متى المندي الذي وجد سنة ١٨٤٢ في الموصل عن كيفية دخول بعض من السريان الارثوذكس في الموصل المذهب الروماني فقد كتب رسالة بالانكليزية الى أحد القسوس المباريين عند وصوله بومباي في (١١ مارج) آذار سنة ١٨٤٣ نجتزىء منها الفقرات التالية :

« ان رسل انسان الخطية كانوا يفرغون جهدهم في جذب شعبنا الى شبكة البابوية ، وقد أنشأوا مدارس وسعوا في جذب أولادنا الى مؤسساتهم ، لقد جاء رجل فرنسي مثري يدعى بوري (هو قنصل اورشليم حالا) من تلقاء نفسه ليكمل رغبة البابا ، وقد سقط في شبكة البابوية خمس عشرة عائلة

وهناك آخرون كثيرون أوشكوا أن يسقطوا ، واعلم أن شعبنا مظلوم من الحكام الاتراك من جهة ، ومن جهة أخرى مرهق من البابويين ، والبابويون تحميهم الحكومة الفرنسية ، أما شعبنا فهو متروك لرحمة الحكام القساة ، والرجل الفرنسي الآنف الذكر يعد بالمحافظة على كل الذين يعتنقون البابوية ، وباعفائهم من الضرائب على اختلاف انواعها ، وغير ذلك من وعود اخرى كثيرة خلابة مثل هذه ، وقد أحدثت هذه الامور اضطرابا عظيما في شعبنا ، حتى أن حوالي خمس عشرة عائلة أمست بابوية »(١)

على أن الدولة العثمانية أدركت نوايا المرسلين اللاتين في الشرق ، فاصدرت عدة براءآت للملل المسيحية الشرقية ضد المرسلين المذكورين منها : براءة

١) انظر ترجمة المذكور بالمليالم ص ٣٢ و ٣٣.

من السلطان أحمد الثالث أصدرها من مقام أدرنة الى قاضي حلب ، لمنع رهبان اللاتين من نصب المكائد والاشراك للمسيحيين الروم والارمن والسريان ليتبعوا مذهبهم ورد فيها : انهم يدعون الى مذهبهم بطرائق الحيل والخداع النصارى الذميين الروم والارمن والسريان » ، وهي مؤرخة في أواخر صفر سنة ١١١٤ « ٢٥ تموز ١٧٠٢م (١) » .

★★★

١) نسختها التركية التي أمضاها بتوقيعه وخاتمه : خليل المولى خلافة بمدينة حلب الشهباء ، مصونة فى الخزانة البطريركية بحمص .

تنويراً لأذهان المومنين : نرى أساقفة روما يحاولون بسط سطوتهم على كنيسة الله جمعاء بتزوير القوانين وغيرها من الأساليب كما رأينا آنفاً ، وقد صرح المعلم فلوري المؤرخ الغربي بوجود مراسيم كثيرة مزورة فى روما موبخاً انحراف أساقفتها عن جادة الحق ، وفي القرن التاسع وبخ فوتيوس القسطنطيني كبرياء أساقفة روما الذين تجرأوا على اخضاع كنيسة البلغار لهم مع انها كانت خاضعة للبطريرك القسطنطيني . فانعقد مجمع سنة ٨٧٩ حضره نواب البابا يوحنا الثامن الروماني ، فرفض المجمع عمل أسقف روما وهكذا لم يحصل على بغيته باخضاع البلغار (١) .

وفي سنة ١٠٩٥ بدأ الصليبيون جنود روما بهجومهم الأول في سوريا وفلسطين ، فلما استولوا على البلاد أقاموا بطاركة وأساقفة من جنسهم على كثير من تلك الكنائس من دون اعتبار البطاركة والأساقفة الاصليين إلا نادراً (٢) وبواسطة تملك الافرنج في فلسطين وسوريا ، والانقلابات الحربية الكثيرة التى حدثت فى بلاد الشرق ، انفتح السبيل لروما فى طول الشرق وعرضه ، فوجهت بارسالياتها الى بلاد مختلفة (٣) وفى بدء القرن الثالث عشر اعتنق الموارنة في جبل لبنان المذهب الروماني على عهد البابا

---

١) قال البابا نيقولاوس الاول فى رسالته الى مجلس شورى بلغاريا سنة ٨٦٦ عدد ٩٢ « ليس فى المسيحية إلا ثلاث كنائس اساسيةورسوليةوهي رومية والاسكندرية وانطاكية ، وعليه فهي وحدها بطريركيات ».

٢) تاريخ لومون ص ٤٣٦

٣) « « « ٤٩٠

انو كنتيوس الثالث الذي أخضع بطريركهم للبطريرك اللاتيني (١) ، وحوالي سنة ١٢٦٨ ، لما فتح المسلمون مدينة انطاكية ، هرب كثير من الأفرنج الى جبل لبنان فأغاثهم بطريرك الموارنة شمعون وآواهم ، فأرسل البابا الكسندر الرابع وشكر البطريرك واعترافاً بصنيعه سماه بطريرك انطاكية (٢) .

وفي أواسط القرن السابع عشر اعتنقت المذهب الروماني ايضاً شرذمة من السريان في حلب ، وبمساعدة القنصل الفرنسي فرنسيس بارون أقامت لها بطريركا سنة ١٦٦٢ هو اندراوس اخيجان ، ثم انقطعت سلسلته حتى لحمها ميخائيل جروه فى أواخر القرن الثامن عشر ، وسنة ١٧٢٤ اعتنق المذهب الروماني بعض الملكيين فى سوريا وأقاموا لهم بطريركا سمي بطريرك انطاكية (٣) .

أما فى العراق فاول من اعتنق المذهب الروماني كان سولاقا الذي رسمه البابا الروماني يوليوس الثالث جاثاليقاً لأتباعه من النساطرة سنة ١٥٥٣ واتخذ له آمد مركزاً لأعماله ، وبه تبتديء الجثلقة الكلدانية ، غير ان هذا الفرع من النساطرة لم يثبت أمينا لروما على الدوام ، بل كان متقلبا ومتلونا تلون الحرباء ، ذلك لأن انضمامهم الى روما لم يكن اقتناعا منهم بايمان بل عن خصام ، ولم تتجدد الصلات حقا الا سنة ١٨٤٠ فى عهد البطريرك اشعيا يعقوب .

وكان اهل قرهقوش أول من انضم الى روما فى العراق من السريان

---

١) تاريخ لومون ص ٥٨١

٢) « « « ٤٩٥

٣) « « « ٦٣٣

لكبرياء عظيمة ! فان يوحنا سلب لنفسه سلطانا على المتحدين برئيس واحد هو المسيح. فاذا أذنوا له ان يستعمل هذا اللقب يفقد كل الأساقفة رتبتهم. وان سقط في ضلال هذا الذي يدعو نفسه بطريركا مسكونيا. لا يبقى اذ ذاك اسقف آخر ثابت على الحق ». وفي رسالته للقيصر موريقي يقول: « انني أقول بكل صراحة ان من يدعو نفسه مسكونيا يسبق بكبريائه المسيح الدجال، الذي يرفع نفسه فوق الآخرين. فكما ان ذاك يريد ان يظهر إلها امام الناس، هكذا هذا ايضا أي من يريد أن يدعى « حبراً اعظم » او يتميز بكبرياء فوق كل الأحبار ». وفي رسالته لأولوجيوس الاسكندري الخلقيدوني يقول: « ان الكنائس الثلاث: روما والاسكندرية وانطاكية صارت كالحبل المثلث الغير المنقطع، وغدا لها التقدم على جميع الكنائس ».

(١٣)

عقد الخلقيدونيون مجمعا بعد مجمعهم المسمى السادس في ترولو، واعتبروه سادسا لانه أصدر ١٠٣ قوانين تكملة لأعمال المجمعين الخامس والسادس. أجل لقد اعتبروه مسكونيا، وان أبى ان يمضيه سرجيوس اسقف روما، لأن فيه شرحت وحددت بعض القضايا المتمسكة بها روما خلافا للتقليد الكنسي.

وهكذا كلما سرنا مع التاريخ الكنسي جنبا الى جنب لا نرى أثراً للسلطة المطلقة التي ينادي بها اساقفة روما لانفسهم على كنيسة الله جمعاء، بل كل الامور تنفي ادعاءهم.

على اننا لا ننكر ان البابا بونيفاس الثالث الروماني حصل من « فوقا » شر ملوك قسطنطينية لقب « الاسقف المسكوني » الذي كان يلقب به بطريرك قسطنطينية كما سبق القول . ان المؤرخ قرافيسون الدومنيكي الاستاذ فى كلية باريس واللاهوتي الشهير بين اتباع روما ، يبين لنا في ص١٧ من المجلد الثالث من تاريخه سبب ذلك قائلا : فى سنة ٦١١ بعد ان اعلن « فوقا » نفسه امبراطورا قتل موريقي ملك قسطنطينية بعد انفتك باولاده الثلاثة امام عينيه بقسوة لا تطاق . وفضلا عن هذا فقد أتى بافظع الاعمال وقتل كثيراً من الرؤساء والاعيان وأثار اضطهادا عنيفا على اصحاب موريقى . ولم يكتف باهراق دماء هؤلاء ، بل قتل ايضا الملكة قسطنطينة زوجة موريقى وبناتها الثلاث ، وعمل فظائع اخرى محزنة لم يسمع بمثلها قط في عائلة موريقى حيث استأصلها . فلما رأى ذلك يوحنا القسطنطيني حرم الملك فوقا واعوانه ، فغضب عليه فوقا وجرده من لقب « البطريرك المسكوني » . وبما ان البابا بونيفاس الثالث الروماني كان يطمح الى هذا اللقب بالرغم من علمه بما قاله اسلافه عمن يتوق اليه بانه « يتمثل بالمسيح الدجال والشيطان » أراد ان يعقد مودة معه ، فارسل حالا وفدا الى فوقا القاتل »

ثم يخبرنا هذا المؤرخ وبولس دياقونوس (الشماس) في كتابه المدعو « القرن الثامن » المجلد الرابع الفصل ال ٣٧ وانسطاس المؤرخ الروماني كيف منح فوقا لقب « الأسقف المسكوني » لبونيفاس بدلا من البطريرك القسطنطيني ، وقرر ان تكون روما الاولى بين الكنائس بدلا من كنيسة قسطنطينية فبينما نرى الآباء الشرقيين منكبين على درس كتاب الله ، منصرفين الى حل غوامضه ومشكلاته مفكرين فى ايجاد الاصطلاحات اللاهوتية الصحيحة ،

التي حازتها كراسي روما والاسكندرية وانطاكية في المجمع النيقاوي ينبغي ان تبقى ثابتة غير متزعزعة » ولكن بلا جدوى ، فقد ظهر تأثير ذينك القانونين حالاً حيث نرى اوطاخيوش القسطنطيني سنة ٥٥٣ يرأس المجمع المسمى عندهم بالخامس في قسطنطينية (١) مع وجود ويجيليوس الروماني فيها إذ ذاك .

(١١)

في اواسط القرن السادس حدث بحث من جهة مصنفات يهيبا الرهاوي ، وثاودوريطس القورشي ، الاسقفين النسطوريين اللذين قبلا في المجمع الخلقيدوني دون ان يحرما نسطور ومصنفاتها النسطورية ، وثاودورس اسقف مصيصة معلم نسطور الذي أوجد البدعة النسطورية ومات في الضلال ، وكان المجمع الخلقيدوني قد أعلن ارثوذكسيته بعد موته . ولما تثبت الملك يوسطينيان من ذلك ، أصدر مرسوماً ضد مصنفات هؤلاء ، ومما جاء فيه :

١) أعلم ان العلماء الرومانيين لم يزالوا حتى الآن يشكون بقداسة المجمع الخلقيدوني لأجل القانونين المذكورين أعلاه ، كما ان المجمع الخامس للخلقيدونيين المنعقد سنة ٥٥٣ نفسه نقض المجمع الخلقيدوني بتقريره ضد مصنفات يهيبا الرهاوي وثاودوريطس القورشي وثاودوروس المصيصي ، الاساقفة النساطرة الذين كان قد قبلهم المجمع الخلقيدوني ولم يحرم الاساقفة الغربيون ويجيليوس الروماني (٥٣٧ ـ ٥٥٥) إلا لقبوله ما قرره ذلك المجمع ، وكذلك قل عن البابا هنوريوس (٦٢٥ ـ ٦٣٨) الذي حرمه المجمع السادس للخلقيدونيين لاعتقاده بالمشيئة الواحدة بحسب الايمان الارثوذكسي.

« ان ديوسقوروس لم يخطيء بشيء بأمر الايمان » . ثم عقد مجمعا في قسطنطينية سنة ٥٥٣ وهو المجمع الخامس المذكور ، حضره ١٦٥ اسقفا خلقيدونيا ، وكان ويجيليوس الروماني (٥٣٧-٥٥٥) آنئذ في قسطنطينية . فانعقد المجمع برئاسة اوطاخيوس القسطنطيني وحرم اصحاب الفصول الثلاثة مثبتا مرسوم الملك ، فأبى ويجيليوس ان يوقع القرار ، فنفاه الملك ، ثم ندم ووقعه فاعاده الى كرسيه ، فانفصل عنه اساقفته وعزلوه لاحتقاره بذلك المجمع الخلقيدوني .

(١٢)

في سنة ٥٨٧ عقد اساقفة اليونان مجمعا في قسطنطينية منحوا فيه يوحنا الصائم البطريرك القسطنطيني لقب « البطريرك المسكوني » . فاعترض على ذلك بيلاجيوس الثاني الروماني برسالة الى اعضاء المجمع المذكور مبينا مساواة الكراسي الرسولية بالسلطان والرئاسة مدعيا بان لقبا كهذا قبيح جداً ، ولم يجسر احد قبل ذلك ان يلقب به لانه لقب رئيس واحد فقط هو المسيح . ولما خلفه غريغوريوس الكبير سنة ٥٩٠ كتب الى يوحنا القسطنطيني المذكور معترضا ايضا على لقبه قائلا : « إن هذا اللقب يليق بالمسيح رئيس الكهنة العام فقط ، وانه بذلك يتمثل بالشيطان » . ثم بين له بان « اساقفة كرسيه الروماني وان دعوا مسكونيين في المجمع الخلقيدوني ، فقد كان ذلك شرفيا ليس إلا ، اذ لم يطلب احدهم في اي وقت كان لقبا مثل هذا ، ولم يختلس لنفسه اسما قبيحا مثله لئلا يكون كمن ينكر مجد كل اخوته » . وفي رسالته الى البطاركة الخلقيدونيين الآخرين يقول : « انها

المحاكم التى فى عبر البحر « روما » ومن قصد ذلك فلا يقبله أحد فى الشركة فى بلاد افريقيا ، بل قد أمر بقانونه المئة والثامن بان من عدم الشركة في بلاد افريقيا ومضى الى نواحي عبر البحر « روما » ليشترك هناك يفقد رتبته . وأعلن ذلك في رسالته الى قلسطينوس المذكور قائلا : « من الآن فصاعداً لا تحتمل افريقيا ذلك البتة (١) » . ولما عقد المجمع الافسسي الاول سنة ٤٣١ أيد حرم البيلاجيين دون ان يعتبر بشيء ما عمله اسقف روما من قبوله اياهم فى شركته .

(٨)

سنة ٤٤٩ عقد المجمع الافسسي الثاني برئاسة القديس ديوسقوروس البابا الاسكندري تذييلا للمجمع الافسسي الاول . فعزل دومنوس الثاني الانطاكي وفلبيانس القسطنطيني وغيرهما لاعتناقهم بدعة نسطور . وأقام مكسيموس بدلا من دومنوس واناطوليوس بدلا من فلبيانس ورفض تلاوة رسالة لاون الروماني التى أنفذها الى المجمع صحبة نوابه . وبعد ختام المجمع عاد نواب لاون الى روما وأخبروه بما جرى ، فتميز غيظاً وحاول افتراس القديس ديوسقوروس، ولكن أنى له ذلك والامبراطور ثاودوسيوس المؤمن يصرح بان المجمع عقد بمخافة الله المطلقة (٢) ؟

١) راجع عن هذا خاصة كتاب الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار بطريرك القبط الباباويين

٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٧٣-١٨٣ وتاريخ ابن العبري الكنسى فى ترجمة مكسيموس البطريرك

(٩)

انقضت سنتان على المجمع الافسسي الثاني المقدس ، ولاون الروماني يتقلب على أحر من الجمر حتى صفا له الجو بوفاة الامبراطور ثاودوسيوس الثاني . فتبوأ عرش القسطنطينية مرقيان النسطوري وتزوج من الراهبة بلخارية أخت ثاودوسيوس . فتغير بذلك جو السياسة ، الأمر الذي كان يؤذن بتعكير جو الكنيسة ايضا . قام لاون يهرول لافتراس القديس ديوسقوروس ، وبتحريضه دعا مرقيان لانعقاد المجمع الخلقيدوني ، غير ان لاون وإن تمكن فى ذلك المجمع الارهابي من تنفيذ مآربه فى القديس ديوسقوروس ، وإحلال بدعة نسطور نقضاً للايمان النيقاوي القويم ، فقد كان المجمع نفسه ضربة قاضية على آماله وآمال خلفائه فى الكرسي الروماني ، لانه رفع بقانونه الثامن والعشرين رتبة الكرسي القسطنطيني فوق كل الكراسي ، وأمر فى قانونه التاسع ان ترفع اليه الدعاوي ضد كل المطارنة والاساقفة .

(١٠)

يدعي علماء الباباويين بان نواب لاون الروماني في المجمع الخلقيدوني اعترضوا آنئذ على ذينك القانونين . فاذا صح ذلك ألم يكن نداؤهم كصرخة في واد ؟ بل لو كان لروما ميزة السلطة على الكنيسة المسيحية جمعاء كيف يضع ذلك المجمع أنظمة دون رغبة نواب روما ؟ او كيف تنفذ بعد اعتراضهم عليها ؟ والأنكى ان لاون نفسه قد اعترض على ذينك القانونين بعد تنفيذهما برسالتيه الى مرقيان الملك واناطوليوس القسطنطيني قائلا « ان الامتيازات

من حضور المجمع. وقصارى القول فقد عقد المجمع دون رغبة اسقف روما ، ذلك لان فى الوقت نفسه عقد مجمع آخر فى روما برئاسة داماسوس هذا والقديس امبروسيوس اسقف ميلان ، فكتب داماسوس الى الاساقفة الشرقيين لحضور مجمعه ليكون المجمع شاملا، فرفضوا طلبه كما يشهدالمؤرخ ثاودوريطس . ومع ان التئام المجمعين كان لغرض واحد ، فقد اعتبرت المسيحية جمعاء المجمع القسطنطيني وحده مسكونياً معصوماً من الغلط ، واضافت قراره عن الروح القدس الى قانون الايمان مع ان آباءه كلهم كانوا شرقيين وقد ترأسه بطريرك انطاكية ، بعكس مجمع روما الذي كان اكثر عدداً ، فضلا عن ان اسقف روما نفسه هو الذي ترأسه . فرضخت روما ايضا لذلك وخضعت لمقرراته واعتبرته مجمعاً مسكونياً بعكس مجمعها . وقد نظر هذا المجمع في شقاق كنيسة انطاكية ، ورفض ما كان قد قرره من جهة داماسوس الروماني والغربيين كما سبق القول ، كما انه رفع منزلة الكرسي الاسقفي القسطنطيني وجعله احد الكراسي الاربعة العظام، وطرد مكسيمس القونيقي الذي سامه مار بطرس الاسكندري لهذا الكرسي ، وأبطل الشرطونيات التي أجراها (١) كل ذلك حكم به المجمع القسطنطيني من دون ان يستشير به روما .

(٧)

فى الربع الاول من القرن الخامس ابتدع بيلاجيوس الراهب البريطاني بدعة وخيمة ، فتتلمذ له أحد اشراف ارلندة يدعى قلاسطينوس تركه في

١) مجموعة قوانين الجامع لمار يعقوب الرهاوي

افريقيا ليفسد عقول المؤمنين هناك ، وذهب هو الى فلسطين لينشر ضلاله فعقد مجمع الاساقفة الافريقيين فى قرطاجنة سنة ٤١٢ وحرم قلاسطينوس كما حرمت مجامع فلسطين بيلاجيوس . فشد الرحال كلاهما الى روما ، حيث انخدع بهما زوسيموس الرومانى وقبلهما فى شركته وكتب يحتج بشدة على المجمع الافريقى الأمر الذي دعا هذا المجمع ان ينعقد ثانية سنة ٤١٧ ويعلن خطأ اسقف روما . ثم أشار العلامة مار اوغسطينوس الشهير اسقف هبو على الاساقفة ان يعقدوا مجمعاً أعظم لفحص قضية البيلاجيين ، فانعقد في اوائل ايار سنة ٤١٨ حضره ٢١٧ اسقفاً افريقياً برئاسة اوريليوس رئيس اساقفة افريقية . فابتكر زوسيموس الروماني قوانين جديدة لتثبيت رئاسة كرسيه الروماني العامة، ونسبها الى المجمع النيقاوي ، وبعث بها الى المجمع الافريقى صحبة نوابه ، بيد ان ذلك المجمع القرطاجني أنكر على اسقف روما دعواه . فقد طالع عدة نسخ لاتينية لقوانين مجمع نيقية ولم يجد فيها صحة دعواه ، وحرر كل من بطاركة انطاكية والقسطنطينية والاسكندرية يطلب نسخة قوانين نيقية ، كما انه كتب الى بونيفاسيوس الاول الذي خلف زوسيموس سنة ٤١٨ لكي يكتب هو ايضا الى آباء الكنائس الشرقية المذكورة ويأتي بالقوانين النيقاوية الثابتة قائلا « ان في الكنيسة الشرقية توجد المراسيم الاصلية نفسها » . فوردت الى المجمع الافريقى نسخة الأصل من القديس كيرلس بابا الاسكندرية ، ومن القديس اطيقوس القسطنطينى ، وحينئذ تأكد من تزوير الاسقف الروماني . فكتب الى قلسطينوس الذي خلف بونيفاسيوس رسالة مجمعية شديدة اللهجة قرعت كبرياء الرومانيين . ثم منع هذا المجمع بقانونه الحادي والثلاثين استئناف دعاوي الاكليروس امام

في حماة اريوس ، ثلاث مرات ، في ثلاثة مجامع غربية ، اولا سنة ٣٥١ في مجمع ارلس ، ثانيا سنة ٣٥٥ في مجمع ميلان حيث وقع ذلك ٣٠٠ أسقف غربي ، ثالثا سنة ٣٥٩ في مجمع ريميني حيث أمضى ذلك ٣٨٢ أسقفاً غربيا فضلا عن ليباريوس الروماني الذي كبا ساقطا في هذه البدعة الوخيمة سنة ٣٥٨ في مجمع سيرميون الغربي(١) .

(٥)

في سنة ٣٦٠ اعتلى السدة الانطاكية القديس ميليطس ، وبعد ايام قلائل نفاه الاريوسيون ، وسنة ٣٦٢ جاء انطاكية لوسيفار اسقف كاجليار (جزيرة سردينيا) الغربي ، واحدث شقاقا بين ارثوذكسيي انطاكية اذ تجاسر فسام القس بولينوس الشيخ اسقفاً لفئة منهم ، ودعم هذا الشقاق داماسوس الروماني واساقفته الغربيون حسداً من مناقب القديس ميليطس فحدث اذ ذاك نزاع بين الاساقفة الشرقيين والغربيين(٢) وسنة ٣٧٨ اضطر

---

١) كتاب المجامع لمار ايلاريوس اسقف بواتيه «فرنسا» مج ٦ ص١٣٣٦ ـ١٣٤٠ ، ان كثيرين من اساقفة روما سقطوا في مخاطر الزلل، فان زفيرينوس وقالسطوس خلفه ٢٠٢ـ٢١٨ سقطا في بدعة براكسياس رئيس مؤلمي الآب، ومركلينوس سجد للاوثان وضحى لها سنة ٣٠٣ في اضطهاد ديوقلطيانس، وفيلكس الثاني اخذ الشرطونية من الاريوسيين وويجيليوس وهونوريوس ولاون الثاني ويوحنا الثاني والعشرون وغيرهم كانوا هراطقة بالنسبة الى معتقد روما .

٢) رسالة الـ ٢١٤ للقديس باسيليوس الكبير

داماسوس والغربيون ان يعترفوا بالقديس ميليطس ، بيد انهم طلبـوا ان يكون بولينوس شريكا له في حياته في ادارة الكرسي الانطاكي ، وان يخلفه وحده بعد وفاته ، وان سكت هنيهة اساقفـة ابرشية انطاكية بغية السلام ، ولكنهم احتجوا على ذلك بعد سنتين في المجمع القسطنطيني ، فنبذ هذا المجمع ما قرره الغربيون من جهة شقاق انطاكية نبذ النواة ، ووضـع قانونه الثاني منعاً لتداخل الاساقفة في ابرشيات غيرهم ان لم يدعوا ، وأبلغ ذلك داماسوس الروماني بعبارات شديدة اللهجة ، منكراً عليه تداخله في أمر ذلك الشقاق وتحزبه لبولينوس بينما لم يكن له سلطة ان يفعل ذلك في ابرشية ليست له ، وقد حفظ ثاودوريطس المؤرخ تلك الرسالة (١) .

(٦)

أقلقت راحة الكنيسة بدع مقدونيوس وسيبيليوس وابوليناريوس في القرن الرابع ، تلك البدع التي طردت من الشرق ، فكانت روما ملجأ لهـا كما اخبرنا القديس باسيليوس الكبير في رسائله الى القديس اثناسيـوس الاسكندري (٢) ولذا كتب هذا القديس احتجاجات كثيرة ضد روما(٣) فعقد المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ لدحض تلك البدع ولوضع حد لشقاقي كنيستي انطاكية والقسطنطينية . فلم يحضره داماسوس الروماني ، بـل لم يوفد اليه نائباً عنه او على الأقل رسالة كعادة الاساقفة الذين لا يتمكنون

١) ثاودوريطس ٥ : ٩ ٢) رسائل الـ ٦٦ و ٦٩ و ٨٠

٣) رسائل الـ ٧٠ و ٩٢ للقـديس باسيليوس الى داماسوس الرومـاني ورسالته الـ ٢٣٩ الى القديس اوسابيوس الشميشاطي

فرضخت كنيسة روما لرأي القديس قبريانس ، وهكذا وضع لهـذا الأمر قانون مشترك من جميع الكنائس كما تشهد مؤلفات القديسين قبريانس وديونيسيوس الاسكندري (١) .

(٣)

ان كنائس سوريا ومصر وافريقيا وآسيا الصغرى اعتبرت معمودية الهراطقة فاسدة ، فكانت تعمد المرتدين منهم الى أحضان البيعة الارثوذكسية كأناس غير معمدين وفقاً للقوانين الرسولية (٢) اما كنيسة روما فاعتبرت معموديتهم صحيحة ، فحدث خلاف عظيم لأجل ذلك في الكنيسة وخاصـة بين اسـطيفانوس الروماني والقديس قبريانس القرطاجني ، فعقـد القديس قبريانس مجمعاً سنة ٢٥٥ فى قرطاجنة حضره سبعة وثمانون أسقفاً من افريقيا فأيد التقليد القديم ، وفى سنة ٢٥٦ عقد ثانية وثبت قراره السابق فأدى ذلك الى تداول رسائل شديدة اللهجة بين اسطيفانس والقديس قبريانس (٣) ثم عقد المجمع القرطاجنى ثالثة فى ايلول تلك السنة ، فارتأى الأسقف الثالث والعشرون من أعضائه بان أسقف روما فى ضلال ، وقال الرابع ان أسقف روما جاحد لايمان الكنيسة ، وأعلن الأسقف الواحد والستون بان أسقف رومية هو يهوذا بالنسبة الي عروس يسوع المسيح التى باعها لأعدائه (٤)

١) اوسابيوس ٦ : ٤٦

٢) القوانين الرسولية ٢ و ١٦ و ٢١ و ٢٤ وهدايات ابن العبري ٢ : ١

٣) قبريانس رسائل ٧٠-٧٥

٤) الوضع الالهي فى تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار جزء ٢ ص ٢٥٦

ثم أيد المجمع القرار السابق . وقد رأينا مار فرمليانس أسقف قيصرية قبادوقية يوبخ برسالته الى القديس قبريانس كبرياء الرومانيين مبينا لهم بأنهم دائما لا يحافظون على الايمان القويم والتقليد القديم (١)، ومما قال فيها لاسطيفانس الذى تجرأ على قطع الشركة مع تلك الكنائس « لا تضل ! انك بنفسك قطعت نفسك ، لأن المنشق هو الذى ينكر شركة الوحدة الكنسية ، فبقدر ما تظن ان لك قوة لتفصل الآخرين منك ففى الوقت نفسه تكون أنت وحدك مفصولا عن الكل » ، وبعد موت اسطيفانس عادت المياه الى مجاريها ، بيد ان أمر معمودية الهراطقة لم ينته إلا في المجمع النيقاوي وكان قراره فصل المقال .

(٤)

في الربع الأول من القرن الرابع أنكر اريوس القس الاسكندري ألوهية المسيح ، فحاكمه أولا مار الكسندروس الاسكندري في مجمعه الاقليمي، ولما لم يرعو رفع أمره الى المجمع النيقاوي ، فاصدر قراراً ضده مستنداً على سلطته المطلقة ، وقد شهد القديس اثناسيوس في كتابه المجامع الفصل الرابع « ان آباء نيقيا لما قرروا عن الايمان قالوا هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة ، مبينين بان ايمانهم ليس جديداً بل هو الذي سلمه الرسل للكنائس » ، ولكننا رأينا بعد ذلك اكثر الكنائس الغربية تجحد الايمان الارثوذكسي وتنفصل عن شركة القديس اثناسيوس الاسكندري وتنغمس

١) قبريانس رسالة ٧٥ ، وتاريخ جيسلر بالانكليزية مج ١ ص ٢٨٦ ، والوضع الالهي جزء ٢ ص ٢٥٨

فقد استعمل المجمع الانطاكي سلطة عظيمة في تقريره عن شقاق كنيسة روما (١) .

ان الكنيسة المسيحية علمت منذ نشأتها بعدم وجود رئاسة منفردة ، وان المرجع الأعلى هو المجمع المسكوني والنافذ الحكم ، وكان يعتبر مسكونيا سواء تخلف عن حضوره احد اساقفة الكراسي الاربعة ام لا ، لأن الكل لا يفتقر الى الجزء ولا يعكس ، وهذا ما تؤيده الامور التاريخية العديدة التالية :-

(١)

حدث في الكنيسة خلاف في تعيين يوم عيد الفصح (٢) فكانت كنائس اسيا الصغرى تحتفل بذكرى الخلاص والصلب في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري في اي يوم اتفق من الاسبوع وفي السادس عشر منه تحتفل بعيد القيامة ، واما الكنائس الاخرى فكانت تفرز يوم الجمعة لذكرى آلام المسيح ويوم الأحد لذكرى قيامته . وفي سنة ١٥٥ وجد في روما القديس فوليقربوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير ، فجادل انيقطس الحمصي أسقف روما «١٥٥-١٦٨» في هذا الشأن ، وبعد محاورة طويلة بينهما لم يتمكن أحدهما من إقناع صاحبه حيث أفرغ كل منهما كنانة جهده في تثبيت رأيه من التقليد الرسولي ، ثم قفل القديس فوليقرفوس راجعاً الى أزمير بعد ان أعاد كثيراً من الهراطقة في روما الى كنيسة الله . ولما

١) بطريركية انطاكية تأليف الدكتور نيل ص ٤٥

٢) راجع عن قضية عيد الفصح اوسابيوس ٤ : ١٤ و ٥ : ٢٣ و٢٤و٢٥

تسقف فيكتور على روما في أواخر القرن الثاني ، أعاد البحث في القضية ، فكتب الى القديس بوليكرات أسقف أفسس ليترك عادة بلاده وإلا قطع عنه الشركة ، فعقد هذا مجمعاً حضره خمسون أسقفاً من اسيا الصغرى ، رفضوا طلب فيكتور ، وقرروا البقاء على عادتهم ، ولما أراد فيكتور ان يعكر سلام الكنيسة وبخه بشدة القديس ايريناوس وغيره من الأساقفة ، فاقتنع فيكتور بذلك ، ورجع عن رأيه وبقي كل على عادة بلاده حتى المجمع النيقاوي ، وقد اخبرنا القديس اثناسيوس الاسكندري في الفصل الرابع من كتابه عن المجامع « ان آباء نيقيا لما أصدروا حكما في قضية عيد الفصح قالوا هذا ما رأيناه حسنا » اي انهم لم يستندوا بذلك على رأي غيرهم .

(٢)

زال اضطهاد داقيوس سنة ٢٥١ بعد ان ترك جاحدين من المؤمنين فحدث بحث في الكنيسة من جهة قبولهم ، وكانوا كثيرين من مختلف البلدان وخاصة في روما (١) فكتبت كنيسة روما رسالتين الى القديس قبريانس مطران قرطاجنة ليبت في الأمر ، فأجابها قائلا : « ان هذا الأمر لا يخص شخصاً واحداً او بيعة واحدة او أقليما واحداً ، بل يخص العالم المسيحي كله » (٢) .

« ولذا يجب ان يترك للحكم المشترك من قبل أساقفة الكنيسة كلهم » (٣)

---

١) الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة تأليف كيرلس مقار أول وآخر بطريرك للقبط المنفصلين جزء ٢ ص ٢١٣ ٢) قبريانس رسالة ١٣ : ١٤ و ١٩

٣) قبريانس رسالة ١٩ : ١٥ و ٢٠

ازمير وسأله ان يعتني بها باجتهاد (١) . وهذا دليل راهن على ان ليس للكنائس رئيساً عاماً عدا يسوع المسيح الذي سيشملها بعنايته ويقيم لها من يشاء . ونرى القديس ثاوفيلس الانطاكي (١٦٩-١٨٢) يقرع اهل البدع ويشرح حقيقة الدين المسيحي المبين بمصنفاته القيمة (٢) . وأول من يجاهر بالثالوث الأقدس والجوهر الواحد (٣) . وكذلك يفعل القديس سرافيون الانطاكي (١٩١-٢١١) برده على آراء الهراطقة السقيمة (٤) . ولم يكن ذلك الايمان قد أملاه على اولئك الآباء رئيس عام على الأرض ، بل كان تقليداً رسولياً تسلمته كنيستهم من الرسل الاطهار مباشرة .

وفي القرن الثالث لما سقط بولس الشميشاطي بطريرك انطاكية في بدعة وخيمة ، لم ينزله عن كرسيه رئيس أعلى ، بل عقد اساقفة ابرشية انطاكية مجمعاً سنة (٢٦٨) وفندوا بدعته وعزلوه وأقاموا بدلاً منه دومنوس الأول . وبعدان انهى المجمع مهمته كتب لمكسيموس الاسكندري ولديونيسيوس الروماني وغيرهما من الأساقفة كي يعدوا يمين الشركة للبطريرك الجديد . وبما ان ديونيسيوس هذا لبى دعوة ربه قبل بلوغ رسالة المجمع اليه ، رضخ خلفه فيلكس الأول لأمر المجمع (٥) .

١) التاريخ الكنسي لأوسابيوس القيصري ٣ : ٣٦

٢) اوسابيوس القيصري ٤ : ٢٤ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٠٩ وتاريخ ابن العبري الكنسي في ترجمته ، وبطريركية انطاكية تأليف الدكتور نيل بالانكليزية ص ٢٥

٣) بطريركية انطاكية ص٢٩ وكتاب : Who's who in the early Chuscl, Rev. Wm C. Piercy, M A. p118

٤) اوسابيوس ٥:١٩ وبطريركية انطاكية ص٣٥   ٥) اوسابيوس ٧:٢٧-٣٠

لم تكن روما اذن مثلا إلا جزءاً من الكنيسة الجامعة ، وكانت نسبتها الى الكنيسة العامة كنسبة الجزء الى الكل . وهنا يطيب لنا ان نورد شهادة العلامة مار ايرونيمس في القرن الرابع وهو احد علماء اللاتين الاربعة العظام ، قال : « ان أردنا ان نفكر من اجل العظمة ، فالعالم اعظم من روما. ان الاسقف سواء كان في روما او في دان « قرية حقيرة » او في افغوبين « قرية احقر من دان » فهو يحوي شرفا هو هو بعينه وكهنوتا بعينه فالعظمة والغنى والتواضع والفقر لا تجعل الاسقف عظيما او حقيرا » (١)

أجل ، ان روما مثل غيرها كانت جزءاً من الكل ، وقد رأيناها يوما ضعيفة ذليلة تستغيث بالكرسي الرسولي الانطاكي لحسم شقاق عظيم أحدثه فيها نوباطيان اسقفها الدخيل . ففي سنة ٢٥١ انتخب مار قرنيليوس اسقفا لروما فقاومه القس نوباطيان ، ثم خدع ثلاثة اساقفة فأقاموه اسقفا دخيلا على روما وكتب الى فابيوس بطريرك انطاكية يستميله اليه ، فبعث اليه مار قرنيليوس ايضا اربع رسائل تبسط فيها في شرح حقيقة الحال له مستغيثا به طالبا نجدته . وقد حفظ لنا اوسابيوس القيسري فقرات منها في تاريخه الكنسي (٢) . فعقد مار فابيوس مجمعا في انطاكية سنة ٢٥٢ للنظر في ذلك الأمر (٣) ، ولكنه توفي قبل ان ينهي المجمع اعماله ، فسيم القديس ديمتريوس فأفرغ اصحاب نوباطيان كنانة جهدهم للحصول على مصادقته ، ولكنهم باءوا بالفشل ، لأن المجمع الانطاكي المقدس أصدر قراره ضدهم . وأخبر قرنيليوس برسالته المجمعية بأنه نبذ نوباطيان المنشق نبذ النواة . ولا شك

---

١) رسالته الى افغاريوس ٢) اوسابيوس ٦ : ٤٣

٣) اوسابيوس ٦ : ٤٦

« هذه حلقة ثانية من سلسلة كثيرة الحلقـات ، ألقيهـا بين يديك أيهـا السرياني العزيز ، آملا ان تقع منـك موقع استحسان ».

المؤلف

بين الشرق والغرب

لاح فجر النصرانية المنير ، وفي المملكة الرومانية ثلاث عواصم هي روما والاسكندرية وانطاكية . فنشأت فيها ثلاثة كراسي اسقفية عظمى متساوية في كل شيء ، ولكل من رؤسائها ميزة السلطان التام على البلاد التى تنضوي تحت لواء كرسيه ، وسلطانه محدود في كنائس الأساقفة الذين هو اولهم . وقد أيد ذلك المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ بقانونه السادس آمراً بحفظ العادة القديمة . وجاء المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ ورفع منزلة اسقفية القسطنطينية فجعلها كرسيا رابعا ، اذ اضحت عاصمة اخرى للمملكة الرومانيـة ودعيت روما الجديدة (١) .

ان كل كرسي من هذه الكراسي الأربعة كان يتصرف بحرية مطلقة ضمن نطاقه ، يضع لكل أمر نظاما ، ولكل سلطان حدودا ، يعقد المجامع الاقليميـة مرتين فى السنة ، كما كانت تنص القوانين الرسولية ، ينظر في امور الكنائس ويحكم على الهراطقة ، ويحافظ على الايمان القويم ، ويقرر تحديدات القضايا اللاهوتية كما يشهد التاريخ الصحيح . فان القديس اغناطيوس النوراني بطريرك انطاكية الثالث (١٠٧م) عندما كان يتأهب لقبول اكليل الشهادة كتب سبع رسائل الى الكنائس الأخرى يشرح فيها الايمان القويم ويفند مزاعم الهراطقة . ومما قال في رسالته الى اهل كنيسة روما : « اذكروا بالصلاة كنيسة سوريا التى لهـا اليوم راع عوضي الاله يسوع المسيح وحده (٢) » ثم عهد برعيته الانطاكية الى القديس بوليقربوس اسقف

١) مجموعة قوانين المجامع لمار يعقوب الرهاوي

٢) اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ٣ ص ٢١٠

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܝܢܐ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܨܪ̈ܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܡܫܪܐ ܕܢܩܘܦ ܢܦܠ ܐܘܪ
ܠܡܠ ܠܗ ܡܫܪܐ ܥܠܝ ܢܦܩܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܡܫܪܐ ܒܡܠ
ܒܪ̈ܫܝܬܐ ܒܙܒܢܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بين الشـــرق والغرب

صفحات ذهبية
من تاريخ الـكنيسة المسيحية

بقلم

الأب عبد الأحد توما السرياني البرطلي

الحلقة الثانية

طبعت بمطبعة الاتحاد - الموصل

بين الشـــرق والغرب

صفحات ذهبية
من تاريخ الـكنيسة المسيحية

بقلم
الأب عبد الأحد توما السرياني البرطلي

الحلقة الثانية

طبعت بمطبعة الاتحاد - الموصل